

الإحكام لابن حزم

فصل فيما ورد في القرآن من النهي عن القول بالعلل .

قال أبو محمد ونحن موردون إن شاء الله تعالى ما في القرآن من النهي عن القول بالعلل في أحكام الله وشرائعه فكتاب الله تعالى هو الحق الذي يقذف بالحق عن الباطل فيدمغه فإذا زاهق ومن أبى ذلك ختمنا له الآية وهو قوله تعالى { بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم لويل مما تصفون } .

قال أبو محمد قال الله تعالى { وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين أوتوا لكتاب ويزداد الذين آمنوا إيماناً ولا يرتاب للذين أوتوا لكتاب ولمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم مرض وكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلاً كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وما يعلم جنود ربك إلا هو وما هي إلا ذكرى للبشر } فأخبر تعالى أن البحث عن علة مراده تعالى ضلالاً لأنه لا بد من هذا أو من أن تكون الآية نهياً عن البحث عن المعنى المراد وهذا خطأ لا يقوله مسلم بل البحث عن المعنى الذي أراده الله تعالى فرض على كل طالب علم وعلى كل مسلم فيما يخصه فصح القول الثاني ضرورة ولا بد .

وقال الله تعالى { خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد } وقال تعالى { وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله ودعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين } .

قال أبو محمد وهذه كافية في النهي عن التعليل جملة فالمعلل بعد هذا عاص الله وبالله نعوذ من الخذلان .

وقال تعالى { ويا آدم سكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه لشجرة فتكونا من لطالمين فوسوس لهما للشيطان ليبيد لهما ما ووري عنهما من سوءاتهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه لشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين وقاسمهما إني لكما لمن لناصرين فدلاهما بغرور فلما ذاقا لشجرة بدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما لشجرة وأقل لكما إن للشيطان لكما عدو مبين قالوا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين } .